

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس ( ١٢-٣٠ ) : قانون الاستخلاف

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٩-١٢

### بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

### قانون الاستخلاف :

أعزائي المشاهدين ... أخوتي المؤمنين ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولازلنا مع قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم ( قانون الاستخلاف ) ، ولكن لابد من وقفة متأنية كتمهيد لهذا القانون .

### زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

أيها الأخوة الأحباب ، العالم الإسلامي يعاني ما يعاني ، الله عز وجل يقول في كتابه الكريم :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

(سورة النور الآية : ٥٥)

﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

هذا قانون عند الله .



العالم الإسلامي يعاني ما يعاني

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

﴿ وَيُمْكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

(سورة النور الآية : ٥٥)

الحقيقة المرة هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، هل نحن مستخلفون في الأرض ؟ لا والله ، هل نحن ممكنون في الأرض ؟ لا والله ، هل نحن آمنون ؟ لا والله ، هذه وعود خالق السموات والأرض ، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين هناك وعود أخرى :

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الروم)

﴿ وَإِن جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(سورة الصافات)

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(سورة غافر الآية : ٥١)

ماذا نفعل بهذه الوعود من عند خالق السماوات والأرض ؟ وكما تعلمون ، ومرة ثانية : زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين .

### شروط قوانين الاستخلاف :

إذا هذه القوانين قوانين الاستخلاف ، ما شروطها ؟ .

### عبادة الله عز وجل العباداة التي أَرادها و الخضوع لمنهجه بكل تفاصيله :



أيها الأخوة الأحاب ، نعيد النظر في هذه الآية :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾  
﴿ يَعْْبُدُونَنِي ﴾

(سورة النور الآية : ٥٥)

كأن هذا الوعد العظيم الكريم من عند خالق السماوات والأرض له ثمن ، ثمنه أن يعبد المسلمون ربهم حقَّ العباداة ، العباداة التي أمروا بها ، أي أن يخضعوا لمنهج الله بكل تفاصيله فإذا عبده حُققَت هذه الوعود الكبرى التي تحل بها مشكلات المسلمين .

أيها الأخوة الكرام ، العبودية لله عز وجل أن تخضع لمنهجه الشمولي ، منهجه الشمولي لعله يبدأ من فراش الزوجية ، وينتهي بالعلاقات الدولية ، منهج تفصيلي

﴿ يَعْْبُدُونَنِي ﴾

والعبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تقضي إلى سعادة أبدية ، فإذا أخلَّ الطرف الآخر بما عليه من عبادة الله ، فالله جلَّ جلاله في حلِّ من وعده الثلاث .

## قانون الاستخلاف بالأرض يقتضي أن نعبد الله العبادة التي أَرادها :

إذاً قانون الاستخلاف بالأرض يقتضي أن نعبد الله العبادة التي أَرادها ، ولكن هناك آية تلقي ضوءاً على حقيقة هذا القانون ، قانون الاستخلاف ، قال تعالى :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾

(سورة مريم)

وقد أجمع العلماء على أن ترك الصلاة شيء ، وإضاعة الصلاة شيء آخر ، إضاعة الصلاة لا يعني تركها ، بل يعني تفريغها من مضمونها ،

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾

وقد لقي المسلمون ذلك الغي .

أما إتباع الشهوات

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾

من أدق ما شرح المفسرون قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(سورة الشعراء)

قالوا : القلب السليم ، القلب الذي سلم من شهوة لا ترضي الله ، وسلم من تصديق خبر يتناقض مع وحي الله ، وسلم من عبادة غير الله ، وسلم أيضاً من الاحتكام إلى غير شرع الله ، هذا هو القلب السليم .

إذاً كان الله سبحانه وتعالى في آية يفسر الذي أصاب المسلمين في آخر الزمان :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾



الاستخلاف في الأرض لا يكون إلا بالدين الذي يرتضيه الله لنا :

ولو دققنا قليلاً في ثنيات الآية

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

الآن ندقق :

﴿ وَلَيُمْكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

أي دين وعد بتمكينه ؟ الدين الذي يرتضيه لنا ، أما إذا فهمنا الدين فهماً يختلف عن فهم الصحابة الكرام ، فهمناه مظاهر ، فهمناه أشياء لا تقدم ولا تؤخر ، فهمناه خصومات ، فهمناه تعصبات ، هذا الفهم للدين لا يستحق أن ننتصر من خلاله ، إذاً

﴿ وَلَيُمْكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

لَهُمْ

أحياناً نفهم الدين فهماً ما أَرَادَهُ اللهُ عز وجل ، أحياناً نتحرك مع الدين تحركاً ما أَرَادَهُ اللهُ . لذلك مما يلفت النظر أن أحد العلماء الغربيين ، وقد هداه الله إلى الإسلام قال كلمة رائعة ، قالها في بريطانيا ، قال : أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور ، لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوىاء ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام ، ولكن بشرط وقد سقت هذا القول كي أقف عند هذا الشرط ، بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، وأن يحسنوا تطبيقه ، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر .

خلاص العالم الإسلامي يقتضي أن نرجع إلى أنفسنا ونراجع حساباتنا و نصطلح مع ربنا :



الصبر والتقوى طريق الخلاص للمسلمين

لذلك أيها الأخوة الأحباب ، هذا الوعد الإلهي من خلال آية الاستخلاف لا يتحقق إلا إذا دفع المسلمون الثمن ، من هنا نفهم بعض جوانب هذه الآية ، قال تعالى يتحدث عن الطرف الآخر :

قانون الاستخلاف

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

(سورة إبراهيم)

تصور أن خالق السماوات والأرض يصف مكر الطرف الآخر بأنه يزِيل الجبال مع أن أمم الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تنقل جبلاً من مكان إلى مكان ،

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

الآن نستمع إلى آية لعل فيها خلاص العالم الإسلامي هذه الآية قال تعالى :

﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَنَا يَضْرِكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٢٠)

فالطريق واضح إلى الخلاص ، وإلى القوة ، وإلى النصر ، وإلى التفوق ، لا يقتضي هذا الخلاص إلا أن نرجع إلى أنفسنا ، ونراجع حساباتنا ، وأن نصطلح مع ربنا ، وأن نصبر على ما نحن فيه ، ثم نتحرك إلى أن نصل إليه ، وقد نستحق إن شاء الله أن نستخلف في الأرض .

## قانون الاستخلاف في الأرض يحتاج إلى تأمل عميق :

قانون الاستخلاف في الأرض يحتاج إلى تأمل عميق ، لأن خلاص المسلمين أن يستعيدوا دورهم القيادي بين الأمم ، خلاص المسلمين أن يصطلحوا مع ربهم ، خلاص المسلمين أن يعودوا إلى رشدهم ، خلاص المسلمين أن يطبقوا منهج ربهم في حياتهم ، لا أن يكتفوا بالإطار الإسلامي فرق كبير أن يكون المسلم متعلقاً بإطار إسلامي وبين أن



خلاص المسلمين بتطبيق منهج ربهم

يكون المسلم متعلقاً بتفاصيل هذا الدين العظيم ، من هنا ينبغي أن ننتبه أن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

(سورة الرعد الآية : ١١)

يعني المسلم أحياناً أمام قوى كبيرة جداً ، وتحت سيطرته بيته وعمله ، فإذا أقام أمر الله فيما يملك ، كفاه الله ما لا يملك ، فما من مسلم إلا والكرة في ملعبه ، حينما يأخذ قراراً مصيرياً بالصلح مع الله أولاً ، وبطاعته ثانياً ، وبتطبيق منهج الله في نفسه أولاً ، وفي بيته ثانياً ، وفي عمله ثالثاً ، يكون قد دفع ثمن حفظ الله له ، وتوفيق الله له ، وتأيد الله له ، ونصر الله له ، هذا طريق الخلاص ، ما لم نعد إلى منهج ربنا ، وما لم نطبق منهج ربنا تطبيقاً كما أَرَادَ اللهُ لِنَصْلِ إِلَى

ما نصبو إليه ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن نوفق بتطبيق هذا القانون قانون الاستخلاف .  
أيها الأخوة الأحباب ، إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى .  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**والحمد لله رب العالمين**